

”واهم“.. كيف ردّ الفلسطينيون في غزة على خطة ترامب لتهجيرهم؟



ترجمات
نون بوست

بينما كان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يعلن عن خطته المثيرة للجدل ”لتنظيف“ غزة، بدأ مئات الآلاف من الفلسطينيين النازحين في القطاع الجنوبي بالاحتفال بعودتهم إلى ديارهم – أو ما تبقى منها – في شمال قطاع غزة.

بالنسبة للكثيرين، لم تكن كلمات ترامب استخفافاً فحسب، بل كانت تذكيراً صارخاً بالصراع الذي خاضه الفلسطينيون على مدى عقود للبقاء على أرضهم.

منذ إعلان وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحماس في 19 يناير/كانون الثاني، كان نزار نعمان، البالغ من العمر 64 عامًا، ينتظر عند أقرب نقطة إلى ممر نتساريم العسكري الإسرائيلي، الذي يقطع وسط غزة، متلهفًا للعودة إلى منزله في مدينة غزة.

وقال نعمان: ”كما أنتمي إلى وطني، فإن وطني ينتمي إلي. لم أكن أرغب في إضاعة أي لحظة بعيدًا عن منزلي مرة أخرى“.

كان نعمان وعائلته قد نزحوا إلى الجنوب في ديسمبر/كانون الأول 2024 بعد أن حاصرت القوات الإسرائيلية حيهم. وعلى الرغم من العنف والحملات المتواصلة للتهجير خلال الهجوم الإسرائيلي الذي استمر 15 شهرًا، والذي دمر جزءًا كبيرًا من غزة، لم يفقد نعمان الأمل في العودة.

وأضاف: ”أندم على اليوم الذي غادرت فيه منزلي وذهبت إلى الجنوب. أفضل الآن أن أموت تحت أنقاض منزلي على أن أغادره مرة أخرى، حتى إلى مدينة أخرى في فلسطين“.

قوبلت اقتراحات ترامب بأن تستقبل مصر والأردن الفلسطينين من غزة و”مجرد التخلص من هذا الأمر برمته“ بالذهول والتحدي في جميع أنحاء القطاع المحاصر.

وقال نعمان: ”الرئيس ترامب واهم إذا كان يعتقد أن سكان غزة يمكنهم المغادرة، حتى لو كان الوضع فوضويًا كما وصفه“، مضيفًا: ”هل يهتم الآن بسكان غزة ويفكر في مستقبلنا؟ أين كان عندما كنا نُقتل

بصواريخ إسرائيلية ممولة من الضرائب الأمريكية؟.

سته إحصائيات صادمة عن غزة



69%

من المباني دُمرت أو
تضررت في غزة



88%

من المدارس دُمرت
مع 396 إصابة مباشرة



50%

من المستشفيات لم تعد
تعمل بكامل طاقتها



74%

من مباني مدينة غزة
دُمرت أو تضررت



68%

من الطرق تضررت، 1,109 كم دُمرت،
و 415 كم تضررت بشدة، و 1,440 كم
تضررت بشكل متوسط



68%

من الأراضي الزراعية دُمرت:
ما مجموعه 103 كم مربع

MEE
MIDDLE EAST EYE

المصدر: وكالات الأمم المتحدة، منظمة الصحة العالمية

كان نعمان، وهو رجل أعمال معروف في غزة، يمتلك العديد من المتاجر في مدينة غزة، والتي دُمرت أو أحرقت جميعها خلال التوغلات الإسرائيلية، كما تحولت منازل ابنه إلى أنقاض جراء الغارات الجوية. ومع ذلك، لم يفكر نعمان قط في مغادرة غزة، حتى لو قدمت دول أخرى حوافز وواختم حديثه قائلاً: ”هذا هو وطننا. لن أغادره أنا ولا أولادي ولا أحفادي أبداً“.

”كلمات ترامب مجرد مزحة“

ويرى زيد علي، 42 عامًا، من شمال قطاع غزة، أن تصريحات ترامب جزء من أجندة خفية لنكبة أخرى، عندما أُجبر 750 ألف شخص على مغادرة ديارهم والنزوح إلى الدول المجاورة أثناء إنشاء دولة إسرائيل. وقال علي: ”لطالما بذلت أمريكا وإسرائيل قصارى جهدهما ”لتطهير“ الأراضي بالقوة أو المرافق، لكنهما تفشلان دائمًا لأن أرواحنا مرتبطة برمال هذه الأرض“.

منذ 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، عانى علي وعائلته من معارك متعددة، وفقدان، وجوع، ومرض، وخوف، وإذلال. ومع ذلك، لم تكن مغادرة غزة خيارًا مطروحًا على الإطلاق، وأضاف: ”لقد صمدت أنا وعائلي في شمال غزة. لم نفكر أبدًا في المغادرة“.

وتذكر علي كيف حاول هو وإخوته الخمسة إقناع والدهم البالغ من العمر 85 عامًا بالإجلاء إلى مصر قبل إغلاق الحدود في مايو/أيار 2024، خاصة بعد تدهور صحته إثر فقدان ثلاثة من أحفاده في الغارات الجوية الإسرائيلية، لكن والدهم رفض.

وقال علي: ”لقد شهد النكبة وغادر منزله مرة واحدة عندما كان طفلًا عندما هجروا قسرًا من حيفا، ولن يكرر خطأ والده أبدًا. استغرق الأمر منا أيامًا لإقناعه بالإجلاء من حيننا إلى آخر خلال فترة القصف الإسرائيلي المكثف. بالنسبة له، كلمات ترامب مجرد مزحة“.

نجونا من الموت المحقق آلاف المرات

يعتقد علي أن إسرائيل كانت قد حاولت بالفعل إفراغ شمال غزة تدريجيًا من خلال ما يسمى بـ ”خطة الجنرالات“، لكنها فشلت بسبب صمود الفلسطينيين.

وقال: ”لقد نجا مئات الآلاف من الناس مثلي من آلاف الموت المحقق“، مضيئًا: ”إذا اندلعت الحرب مرة أخرى، فسوف نبقى على أرضنا. حتى النازحون الذين عادوا إلى ديارهم في الشمال اليوم لن يجلوا مرة أخرى“.



رجل يعانق آخر بعد عبور ممر نتساريم من جنوب قطاع غزة شمالًا إلى مدينة غزة على طول شارع الرشيد الساحلي في غزة في 27 يناير/كانون الثاني 2025

وقف علي في شارع الرشيد في غرب مدينة غزة، منتظرًا شقيقته، والتي كانت قد أُجليت إلى الجنوب في أوائل يناير/كانون الثاني 2023 لتلتقي بزوجها، الذي احتجزته القوات الإسرائيلية وأُفرجت عنه لاحقًا هناك.

ومثل مئات الآلاف من الآخرين، كان يملأه مزيج من الارتياح والامتنان لإعادة لم الشمل مع أحبائه بعد شهور من الانفصال.

واختتم حديثه قائلاً: ”إذا كان ترامب هنا اليوم وشهد احتفال العائدين إلى ديارهم، فسوف يفهم العلاقة العميقة بين الفلسطينيين وأرضهم“.

مساحة للأمل

مثل علي، لم تغادر لمي أبو عاصي، 27 عامًا، شمال غزة، على الرغم من أن عائلتها أُجليت عدة مرات إلى ملاجئ مؤقتة بعد أن دُمر منزلهم جزئيًا في مدينة غزة جراء الهجمات الإسرائيلية في مايو الماضي.

وقالت لمي أبو عاصي إنه على الرغم من المعاناة التي لا يمكن تصورها، لا يزال لدى الناس في غزة أمل في مستقبل أفضل، متابعة بقولها: ”على الرغم من أننا فقدنا منازلنا والعديد من أحبائنا، إلا أننا ممتنون لإعادة بناء حياتنا، حتى لو كان ذلك يعني نصب خيمة على أرضنا“.



فلسطينيون نازحون يشقون طريقهم عائدين إلى ديارهم في شمال غزة، وسط قطاع غزة، 27 يناير/كانون الثاني 2025

بينما ربما يكون ترامب قد أشار إلى غزة باعتبارها ”موقع هدم“ بسبب الدمار الواسع النطاق الناجم عن القصف الإسرائيلي، تعتقد أبو عاصي أن ”أملنا، الذي أبقانا صامدين طوال أكثر من عام من المصاعب، سيدفعنا إلى إعادة بناء بلدنا بأيدينا، بشكل أجمل من ذي قبل“.

غير أن عودة الفلسطينيين النازحين من جنوب غزة إلى الشمال تجعل لمى متفائلة بأن الفلسطينيين النازحين الذين يعيشون في المنفى سيعودون يوماً ما.

وقالت: ”نحن في غزة لا نتوقع أي شيء من العالم بعد المعايير المزدوجة والتخلي الذي عايناه، كل ما أتمناه هو أن يحترم العالم حقوق الإنسان، ويمنح الناس كرامتهم، ويساعدهم على العودة إلى وطنهم - لا أن يغادروه“.

سوف يفشلون مرة أخرى

يرى حسني مصطفى، 68 عامًا، من مدينة غزة، ويقيم حاليًا في مصر، حيث تم إجلاؤه في مايو/أيار 2024 لتلقي العلاج الطبي لزوجته المصابة بالسرطان، أن تصريحات ترامب جزء من جهد طويل الأمد لإفراغ فلسطين، وخاصة غزة.

وقال حسني: ”منذ السبعينيات، حاولت إسرائيل ودول أخرى تسهيل هجرة الفلسطينيين من خلال تغطية تكاليف السفر وتوفير فرص عمل في الخارج“، وأضاف: ”لقد فشلوا آنذاك، وسوف يفشلون مرة أخرى“.

وتابع: ”قد يعتقد ترامب أن الناس في غزة يمكنهم المغادرة ثم يمكنه الاستثمار في الأرض، لكنه لا يدرك أن ذلك مستحيل حتى مع الحوافز المالية والهجرة المنظمة“.

وأشار مصطفى إلى عودة الناس مؤخرًا إلى ديارهم في الشمال كدليل على ارتباطهم الوثيق بالأرض.

وأضاف: ”نام الناس في الشوارع، في انتظار لحظة العودة إلى ديارهم - أو أنقاض ديارهم - حتى لو

كانت على بعد بضعة كيلومترات فقط.

فلسطين هي وطننا، ولا يمكن لأحد على وجه الأرض أن يقتلنا منها“.

الاستعمار الاستيطاني

وقال حيدر عيد، الأستاذ المشارك في جامعة الأقصى في غزة والباحث المشارك في مركز الدراسات الآسيوية في إفريقيا بجامعة بريتوريا، لموقع ”ميدل إيست آي“ إن اقتراح ترامب يعكس الأيديولوجية اليمينية المتطرفة التي تهيمن أيضًا على السياسة الإسرائيلية.

وأوضح أن ما يسمى بجهود ترامب للتوسط في وقف إطلاق النار كانت مرتبطة فقط بدوره في ذلك الوقت، وأن تصريحاته الأخيرة تكشف عن أجندة أعمق.

وقال عيد: ”إن تصريح ترامب الأول هو في جوهره دعوة للتطهير العرقي. إنه يتماشى مع نفس الأيديولوجية التي تسيطر على إسرائيل وتديم أسطورة الحل السلمي مع المضي قدمًا في سياسات التهجير“.

ويعتقد عيد أن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل متجذرة في ”الأيديولوجية المشتركة“ للاستعمار الاستيطاني. فخلال الحرب، دعا المستوطنون الإسرائيليون والمسؤولون الإسرائيليون اليمينيون المتطرفون مرارًا وتكرارًا إلى خطط لتهجير الفلسطينيين قسرًا من مساحات واسعة من غزة واستبدالهم بمستوطنين إسرائيليين.

وأضاف: ”إن الدول الاستعمارية الاستيطانية مثل أستراليا والقوى الاستعمارية السابقة تدعم أيضًا إسرائيل، لأنها تشترك في مصلحة استبدال السكان الأصليين بالمجتمعات الاستيطانية“.

ويؤكد تحليل عيد السياق الأوسع لتصريحات ترامب المثيرة للجدل، ويربطها بتاريخ طويل من التشريد والاضطهاد الذي يواجهه الفلسطينيون.

وقال: ”ما نشهده ليس حادثًا معزولًا، بل جزء من جهد منهجي لمحو الوجود الفلسطيني من أرضهم“، مضيفًا: ”ومع ذلك، فمثلما قاوم أجدادنا، سنستمر في المقاومة ونظل ثابتين على أرضنا“.

المصدر: ميدل إيست آي